اشكالية المنهج في العلوم الانسانية:

حيدرة فتيحة

باحثة جامعية

الملخص:

تعتبر العلوم الانسانية من العلوم التي تعد "اشكالية المنهج" فيها اشكالا اساسيا، ولما كانت علمية ايّ علم مرهونة بمدى تطبيق المنهج التجريبيّ، سعت العلوم الانسانية الى تطبيق هذا الاخير الاّ انها اصطدمت بخصوصيّات الظّواهر الانسانيّة و التّي تختلف اختلافا صارخا عن طبيعة المادة الجامدة. الامر الذّي ادّى بالكثير من الباحثين الى تكيّيف المنهج التجريبيّ و مراعاة طبيعة الظواهر الانسانية
بمختلف تجليّاتها. ومن بين هؤلاء الذّين كان لهم اسهاما كبيرا نجد الفيلسوف الالماني "فيلهم ديلتاي".

Résumé :

La problématique de la méthode est le principal problème des sciences humaines. Si la méthode expérimentale est la nécessité scientifique des sciences, les sciences humaines ont rencontré des obstacles et des difficultés épistémologiques pour appliquer cette méthode car la nature du phénomène humain est différente. Plusieurs chercheurs ont tenté de trouver une méthode scientifique pour l'adapter avec ce phénomène humain notamment le philosophe allemand F.Delly.

اشكالية المنهج في العلوم الإنسانية:

مقدمــة :

بعد وفاة الفيلسوف هيغل (Hegel)، أخذ الفلاسفة في التّحول من اهتمامهم بأمور الميتافيزيقا التّأمليّة و بناء الأنساق، إلى التّوجه نحو العلوم الطّبيعية و الرّياضيات و الّتي حصل فيهما تطوّرا كبيرا.[1]

ونتيجة للانبهار الذي حصل بالعلوم الطّبيعية، حاول البعض من العلماء تطبيق المنهج التّجريبي على الظّواهر الانسانية. إلا ان هناك من اعترض على ذلك و رفض امكانية دراسة الظّواهر الانسانية بنفس المنهج المطبّق على الظّواهر الطّبيعية.

ومن هنا جاءت أهميّة ديلتاي(*) فلسفيا و التّي تعود إلى تبيانه الطّابع الّذي يميّز الدّراسات الإنسانية و تحليله المفّصل " للفهم ". و تتمثل أهميّته أيضا في شغفه بالهيرومنطيقا و بعلم النّفس.(2)

و عليه تتبادر إلى أذهاننا التّساؤلات التّالية:

-هل استطاعت العلوم الإنسانية الاستفادة من منهج العلوم التّجريبية؟

و إذا كانت هناك جملة فروق بين طبيعة البحث في الإنسانيات و الطّبيعيات:

- فما المنهج الّذي أحلّه ديلتاي بدل المنهج التّجريبي؟

<u>إشكالية المنهج في العلوم الإنسانية (الفرق بين منهج العلوم الإنسانية و منهج العلوم الطّبيعية):</u>

يقصد ديلتاي " بالدّراسات الإنسانية " جملة البحوث المتمثّلة في علم النّفس و السّياسة والقانون و التّاريخ و الاقتصاد و الموسيقى و الدّين و الشّعر و الأدب.(3)

إنّ موضوع العلوم الإنسانية لا يشتمل على العقل الإنساني فحسب، بل أنّ الموضوع المشترك بين كلّ هذه العلوم هو الإنسان، أي كلّ: « الكائنات البشريّة المؤلّفة من جسم و عقل معاً، و الّتي تتأثّر بالأشياء الفيزيائية. فالعلوم الإنسانية لا تصبح محورا للاهتمام إلاّ من حيث هي تؤثّر في تقويم الأهداف الإنسانية و تحقيقها و تخدم التّعبير عن الأفكار و المشاعر الإنسانية ... و لئن كانت مقولتا المظهر و الواقع تخصّ العلوم الطّبيعية، فإنّ مقولتي الباطنّي و الخارجّي هما ما يهمّان العلوم الإنسانية »(4).

و يضيف ديلتاي إلى ذلك مقولتان تتجسّدان في الموضوع الشّامل و الأساسيّ لهذه العلوم و خاصة التّاريخ و المتمثل في (العقل الموضوعي) والّذي يتجسّد في:« مجموعة تعبيرات الحياة العقلية الدّائمة الثّابتة على أنحاء شتّى...»(5).

و يرى ديلتاي – مثل فيكو – أنّ:« أوّل عامل لا مكانية تأسيس علوم إنسانية يرجع في الأصل إلى الحقيقة الّتي ترى بأنّ الباحث في أمور التّاريخ، هو بصيغة أو بأخرى، صانع التّاريخ(6)، ذلك أنّ الّذي يبحث في التّاريخ فإنّه يعيد بناء تلك الحوادث التّاريخية

من وجهة نظر خاصة به انطلاقا من خبرته و تاريخه هو و حسبما يتصّور حدوث الوقائع و يؤوّلها في خياله ».

إشكالية بلوغ الموضوعيّة في العلوم الإنسانية:(الفرق بين العلوم الإنسانية و العلوم التّجريبية)

و لمّا كانت العلوم الإنسانية جدّ مغرقة في الذّاتية و النّسبية و اللاّيقين، هذا ما جعل البعض يرى بأنّ العلوم الإنسانية كثيرة المناهج، قليلة النّتائج[7]. و على شاكلة نيتشه، يؤكد ديلتاي على عدم يقين الإنسان الحديث و شكه الدّائم بأهداف الحياة و قيمها[8]، أي نسبّية معارفه و الحقائق الّتي بناها.

و توخيًّا للدّقة و الموضوعية، حاول بعض الباحثين استخدام نفس منهج العلوم الطّبيعيّة إلاّ أنّ هذا الأمر أوقعهم في فشل ذريع، الأمر الّذي أدّى بالبعض إلى التّراجع عن هذا الموقف الصّارم[9]، و قد اعتبر ديلتاي هذا بمثابة خطأ كبير ناجم عن محاكاة منهج الطّبيعيات [9].

لقد رفض ديلتاي الموقف الّذي لا يضع في الحسبان الفروق بين العلوم الطّبيعية و العلوم الرّوحية و يتمثل جوهر الإشكال القائم هنا في ردّ ما هو إنساني روحي إلى ما هو مادّي موضوعيّ، مع إنكار الفروقات و الخصوصيّات بين عالم الرّوح و عالم الأشياء الماديّة، و كان هذا جرآء النّزعة الوضعيّة الّتي عملت على تفسير جميع ظواهر الكون من مبدأ عقلاني و حساب دقيق. و هي الاتّجاه الّذي انتقده فيما بعد كل من " ايدموند هوسرل "و" مارتن هيدغر " و" غادامير " [10].

و يقابل ديلتاي بين الإنسانيّات و العلوم الطّبيعيّة رغم إقراره بأنّ:« العمليات المنطقية الأوليّة الّتي تقع في العلوم و الدّراسات الإنسانية هي، بالطّبع، نفسها »[11].

و يرى ديلتاي بأنّ:« مناهج دراسة الحياة العقلية و التّاريخ و المجتمع تختلف اختلافا كبيرا عن تلك المستخدمة للحصول على معرفة بصدد الطّبيعة »[12].

فالعلوم الطّبيعية تدرس الظّواهر الخارجية المنفصلة عنّا، و باعتماد الفرضيّات و الاستنتاج يكتشف العلماء خفايا العلاقات القائمة بين الظّواهر الطّبيعية و يبتّ فيها من حيث ترتيبها المنطقي و علاقاتها السّببيّة. بينما الإنسانيات فتستلزم أن يعيش الإنسان حالة عقلية سابقة عن طريق التقمصّ و من هنا رأى ديلتاي بأنّه لفهم الحياة لابدّ من معايشة تلك الحياة كحياة شخصية و بواسطة إلهامنا، حيث يسمح لنا

هذا بإمكانية إعادة اكتشاف الأنا في الآخر من حيث أنّ هذه التّجربة تجربة داخليّة و حميميّة[13].

و يعتقد ديلتاي بأنّ المعرفة الفردية للحياة تنشأ من تعميمات جمعت و هي ناتجة عن منهج مكافئ للاستقراء، و الفرق بين هذه التّعميمات و التّعميمات العلميّة بأنّها لا تتمّ بصورة منهجية، كما أنّها لا يمكن أن تشكّل. كما أنّ الموقف الفرديّ الخاصّ بالمعرفة الشّخصية للحياة تعمل على تصحيحه و توسيع نطاق التّجربة المشتركة و الّتي هي معتقدات مشتركة تجسّد تقريرات عن أحكام القّيمة و نظام السّلوك و الّتي تظهر عند أيّ مجموعة من الأفراد في المجتمعات[14].

كما أنّ لغة العلوم الطّبيعية تختلف عن خطاب و لغة العلوم الإنسانيّة، حيث نجد في هذه الأخيرة تعدّد اللّغات بحسب النّظريّات و الاتّجاهات المتعدّدة، و كثيرا ما تستخدم اللّفظة الوّاحدة عدّة معاني و دلالات ممّا يخضع الظّاهرة الواحدة لعدة تحليلات و رؤى مختلفة و قد تكون متناقضة أحيانا أخرى ممّا يجعل الموضوعية أمرا مستبعدا في الكثير من الأحيان[15].

و تتلخص جملة العوامل الّتي تميّز البحث في العلوم الإنسانية عن البحث في العلوم الطّبيعية في:

1.الذّاتيـــــة: فالباحث إذا كان محايدا و دقيقا في دراسته للظواهر الطّبيعية فإنّه لا يستطيع أن يكون كذلك في مجال الظّواهر الإنسانية فكما أنّ الوصول إلى معرفة النّوايا و المقاصد يساهم في الكشف عن حقيقة الظّواهر الإنسانية، إلاّ أنّه في نفس الوقت قد يكون ذلك عائقا إبستمولوجيا أمام الموضوعية العلمية و النّتائج الدّقيقة[16].

2.الإيديولوجيـــا: يستطيع البّاحث في مجال الطّبيعة أن يتجرّد من جميع الأحاسيس و الانفعالات، غير أنّ الأمر غير ممكن في ميدان الظّواهر الإنسانية، فالباحث يعالج الظّاهرة انطلاقا من خبراته السّابقة فيضفي بذلك لمسته الشّخصيّة على الحوادث المدروسة من توجّه و مذهبية و احكام مسّبقة، فمثلا المؤرّخ الحقيقيّ هو الّذي يستطيع أن يسبر أغوار التّاريخ بغرض فهم أحداثه و قيّمها، فهو لا يتدخّل في سير مجرى تلك الأحداث، و إنّما يعمل على تحليلها[17]. و محاولة ملأ الثّغرات بين مختلف الحوادث التّاريخية.

3.القـــيمة: تتجرّد العلوم الطّبيعيّة من أحكام القّيمة، إلاّ أنّ الأمر العكس تماما في مجال الظّواهر الإنسانيّة. فلا تكاد الحوادث الإنسانيّة تخلو من التّقديرات القيميّة. إذ لا يحدث الفعل الإنسانيّ إلاّ بغرض و هدف يحدّدانه و من هنا كانت الأفضليّة للقيام بفعل دون آخر. ممّا أضفى التّفسيرات الغائيّة على هذه العلوم [18]. و يمكن إيجاز خصائص البحث في مجال العلوم الإنسانية فيما يلي:

1) لا تهتم العلوم الإنسانية بالحصول على تعميمات إحصائية أو قوانين عامّة، فهي تهتم بما هو فردّي و فريد، بينما الفيزيائيّ مثلا فإنّه أيضا يدرس ظواهر فرديّة، لكنّه يرجو منها بلوغ ما هو كليّ{ نظريّات كليّة }[19].

2) تهتم العلوم الإنسانية بعلاقة{ الجزء بالكلّ }، ذلك أنّ الفرد جزء من كلّ (المجتمع)، و الكلمة جزء من جملة...إلخ، و(فعل ما) هو جزء من حلقة أفعال متسلسلة لها غايات. و بهذا من المهمّ وضع الأجزاء- في مجال الإنسانيّات – ضمن مواضعها في الكليّات(سياقاتها) و رفض ديلتاي فكرة وجود نقطة بداية مطلقة في مجال العلوم الإنسانيّة إذ لابدّ من فهم الجزء لنفهم الكل{ فهم الجملة يستلزم فهم الكلمة و هكذا }[20].

3) تقدّم العلوم الإنسانية على منطق أنّ الإنسان هو الموضوع، و هو الدّارس في نفس الوقت، فكموضوع بحث نستعين ب:(السّببية)، مع وضعنا في الحسبان أنّ الكائنات البشريّة هي ذوات خلاّقة تقوم على إمكانية إحداث أشياء جديدة في التّاريخ[21].

و يتجلّى الفرق بين العلوم الإنسانيّة و العلوم الطّبيعيّة أيضا إلى أنّ العلوم الإنسانيّة تحتاج إلى الّتفهم قبل التّفسير، و التّفهم أكثر من التّفسير، كما أنّ التّحليل الّذي يمكّننا من عملية التّفسير أصّلا لا يكون ممكنا إلاّ في إطار الفهم[22].أمّا الفرق الآخر بين هذه العلوم، هو أنّ العلوم الإنسانيّة تشكّل عالم الخبرة المشّتركة، حيث نحيا مع الأشياء و الأشخاص على عكس العلوم الطّبيعية الّتي تبتعد أكثر فأكثر عن هذا العالم كلّما ازدادت دقّة[22].

و يرجع الفرق الشّاسع بين البحث في ميدانيّ علوم المادّة(العلوم التّجريبيّة) و العلوم الإنسانيّة إلى وجود تداخل بين الذّات و الموضوع أي بين الذّات الدّارسة و الموضوع المدروس بحكم إنّ الدّارس هو نفسه موضوع الدّراسة أي:(الإنسان)، ممّا

يعقّد الدّراسة في مجال العلوم الإنسانيّة ذلك أنّ:« الباحث في هذه الحالة جزء من الظّاهرة الّتي يدرسها »[23].

فإذا كان البعض من الباحثين ينكرون وجود فروق بين العلوم الطّبيعيّة و العلوم الإنسانيّة،و يرجئون ذلك إلى النّموذج القيّاسي (Paradigme) للعلم الطّبيعي[24](دوركهايم).

و حسب ديلتاي، فإنّ العلوم الإنسانية تشكل ثورة هيرومنطقيّة، و لأنّها كذلك فإنّ مركز و صلب جاذبيّتها يكمن في تأويل الصّيغ اللّغوية الّتي ترجع إلى خبراتنا الحياتيّة[25].

<u>ديلتـــاي: الفهم بدل التّفسير في العلوم الإنسانيّة:</u>

و كثيرا ما يطلق على ديلتاي "فيلسوف الحياة"، ذلك أنّ الحياة كانت المقولة الأساسيّة في تفكيره و أبحاثه، و على الرّغم من غموض هذه المقولة و تشعبّها، إلاّ أنّ "الحياة" تظل دوما مصدر خبرتنا و تجاربنا[26]، و بهذا« فإنّ الحياة هي الشّرط شبه التّرانسدتنالي لوجود العلوم الإنسانيّة »[27].

إنّ الحياة بالنسبة لديلتاي إنّما هي حياة خصبة حيث يعتبر مفهوم الخبرة أساسا إبستمولوجيا للمعرفة الموضوعيّة ككلّ[28]. لذا:« ففي العلوم الإنسانيّة نطلب الفهم، و في العلوم الطّبيعيّة نطلب الشّرح، و تشكّل هذه الثّنائية المنطقيّة إحدى أهمّ المسائل الإشكاليّة في فلسفة العلوم »[29].

و ثنائيّة(المظهر، المخبر) تجعلنا نتذكّر الشّكوى المشّهورة الّتي أطلقها فرنسيس بيكون في قوله بأنّ:« الفهم الإنساني يشبه المرآة، الّتي تقوم و هي تتسلّم الإشعاعات بانتظام بتشويه طبيعة الأشياء و إفساد لونها و خلطها بطبيعتها الخاصّة »[30]. فحسب بيكون لا تتحقّق المعرفة الحقّة إلاّ عندما تتوفّر الشّفافية و الصّفاء في الأشياء المعكوسة في المراة، لذا وجب على العلماء تنقيّة أنفسهم من كل الأحكام و الافتراضات المسبقة و الأفكار الّتي تشوّش على الفكر عوضا عن الانصيّاع خلف المصلحة و ما هو متداول من نظريات و أحكام[31] . الأمر نفسه قد أشار إليه إسحاق نيوتن، حيث أنّه يعتبر: « كلّ ما لا يستنبط من الظّواهر لا بدّ من أن يسمّى فرضيّة، و الفرضيّات سواء أكانت ميتافيزيقيّة أم فيزيقيّة، ذات طبيعة سحريّة أم ميكانيكيّة، لا مكان لها في الفلسفة التجريبيّة »[32] بحكم أنّ الفرضيّة تطلق العنان للخيال

الميتافيزيقيّ، ممّا يبعد العالم عن العالم الحسيّ الواقعيّ، و يجعله يفسح المجال للفرضيّات الّتي تجسّد هموم و تجارب و معتقدات العالم، و بهذا فإنّ مثل هذه الافتراضات تشوّه المرأة و لا تجعلها تعكس العالم الحسيّ كما هو دون تلوين، فشكوك ديلتاي حول سلبيّات الفرضيّة أمر أخذه من الميراث الإبستمولوجيّ التّأملي الّذي تزعمه التّجريبيون الكلاسيكيّون[33].

يقول ديلتاي في كتابه (The construction of the Historical World in Human Studies): « لا يستطيع العقل أن يفهم إلاّ ما صنعه، و الطّبيعة الّتي هي مادّة دراسة العلوم الفيزيائيّة تشمل الواقع الّذي نشأ مستقلاً عن نشاط العقل، و كلّ شيء حمل طابع الإنسان القويّ يشكّل مادّة بحث الدّراسات الإنسانيّة »[34].

لأنّه إذا اقتنعنا و افترضنا أنّ لنا نفس أوجه الشّبه، فإنّ عمليّة الفهم هنا لن تشكل مشكلة أبداً مادام لا يوجد ما هو إنسانيّ غريب عنّا كبشر، و يعتبر ديلتاي عمليّة "الفهم" فعلا جديدا خلاّقاً، يمكن أن يتجسد في شكل محسوس كتعبير، كرسالة دكتوراه حول عمل من الأعمال الفنيّة[35].

و هكذا تمكّن ديلتاي من« أن يزعم بوجود رابطة داخليّة بين الحياة و الخبرة الحياتيّة و العلوم الإنسانيّة، فالحياة هي الّتي تفهم الحياة في عملية الفهم، و يمكننا أن نفهم ما خلقته الكائنات البشريّة، و تلك كانت فكرة فيكو الأساسيّة أيضا »[36].

و بهذا، فإنّ الفهم في مجال العلوم الإنسانيّة يستوجب قدرة لدى الباحث على إحياء تجربة أصليّة و إعادة اختبارها، و لكن: كيف يتسنّى لنا أن نتحقّق من صدق إعادة إحيائنا لخبرة أصليّة لفنان ما مثلا من عصر النّهضة؟.

هنا يفترض ديلتاي وجود نوع من أوجه الشّبه بين الذّات الأصليّة صاحبة الخبرة و التّجربة، و بين الذّات الدّارسة الّتي تحاول إحياء تلك الخبرة الحياتيّة و فهمها فهما صادقا، و يرجع ذلك إلى الطّبيعة الإنسانيّة الثّابتة و المشتركة بين كل بني البشر عبر كلّ الأزمان و الأماكن كما أنّ الحياة كثيرا ما تظهر نفس الجوانب في حياة النّاس[37].

إنّ رؤية شخص منكسر تنهمر الدّموع من عينيه، فملامح الحزن هذه، لا أدركها دون شعور نفسيذ بصدى الحزن المعبّر عنه- على الرّغم من قدرة تعقّل عقول أخرى لذلك – و من هنا يصبح هذا الموقف حيًّا في نفسي و بالتّالي يحصل تفهمّي للشَّخص

الآخر، فالملامح و التّعبيرات لها القدرة على استحضار ما تعبّر عنه و هي أساس لكل مشاركة أو تواصل بين الأفراد، فالاستجابة الحاصلة عن حالة الحزن ليست عملية استنتاجية عقلية ناتجة عن مطابقة المشاهد المتشابهة، بل هي استجابة وجدانية و انفعالية فتلك الملامح قد أيقظت شعوري، و تصوّرك لها يجعلك تعيش التّجربة ثانية في شعورك الخاصّ[38].

فالباحث في مجال العلوم الإنسانيّة يتحتّم عليه أن يدخل في علاقة حميميّة مع الأشياء انطلاقا من مبدأ المشاركة و الوجدانية و مبدأ التّعاطف، محاولا اكتشاف الأسباب و الدّوافع الّتي تمخّضت عنها تلك النّتائج، و بذلك فإنّ الباحث يحاول أن يعيش مرّة ثانية على حد تعبير ديلتاي، و لذلك فلا يمكننا أن نتحدّث عن وجود تطابق بين الموضوعات الّتي تتناولها العلوم الإنسانية، فلكلّ حادث وضعيّة خاصّة به يستحيل تعويضه بحادث آخر، ففي مجال هذه العلوم نجد أنفسنا في حضرة تلاقي جملة ذوات بشريّة و لكلّ ذات مقصدها المختلف و هذا التّلاقي يقوم على أساس الحوار و المشاركة. على عكس ما نجده في مجال العلوم الطّبيعيّة الّتي تفترض وجود تطابق بين الأشياء الماديّة ذات الخصائص المتماثلة في الواقع. و منه، فإنّ الموضوع في ميدان العلوم الإنسانيّة لا يتكرّر إذ لا يمكن أن نعثر على حالتين متطابقتين تماماً [39].

و قد بيّن ديلتاي بأنّ المشكلة الأساسية و الحيوية إنّما هي مشكلة (الفهم) أو(معرفة الحقيقة التّاريخية الاجتماعية)، أي معرفة العالم البشري، لذلك حاول ديلتاي أن تكون إسهاماته متضلّعة في شتّى دروب المعرفة بغرض فهم عامل متكامل للإنسان[40].

<u>ديـــلتاي و اشكالية الفهـــــم:</u>

تختلف وجهات النّظر ما بين الاتجاه الّذي يرى بأنّ الإنسانيّات الّتي تقوم على الفهم و الحدس الذّاتي، و بالتالي فنتائجها يتعذر البرهنة عليها بصفة قطعيّة، بينما العلم موضوعه تجريبي موضوعيّ و نتائجه قطعيّة و ثابتة لا يكتنفها شكّ أو ريب، و بهذا حكم بالتقدّم و قابليّة التّطور على العلوم الطّبيعيّة دون العلوم الإنسانيّة[41].

و بهذا، فيستحيل (التّفهم) دون حصول أيّ (تجربة أو مشاركة وجدانية أو معايشة) للتّجربة الّتي يعيشها الشّخص و من هنا بيّن ديلتاي وجه الفرق بين العلوم الإنسانيّة و العلوم الطّبيعيّة [42].

و يرى ديلتاي وجود نوعين من الفهم: فهناك فهم أوليّ، و هناك شكل أعلى للفهم، فالفهم الأوليّ مباشر، أمّا الشّكل الثّاني و هو الفهم الأعلى، فإنّه يبحث عن علاقة المعنى المعبّر عنه بأشكال أخرى ذات علاقة به، و بالسّياق العام الّذي يمكنّنا من إدراك دلالات المعنى و بهذا، يتجاوز الفهم الأعلى الفهم المباشر و الأوليّ اكتشافاً للخفيّ[43].

و ما يمكن أن يُخصَّ به ديلتاي هو أنّه أوّل من أقصى التّساؤلات التّأملية و قام بعملية دراسة (الفهم) دراسة علمية، إذ أنّه يؤكد على ضرورة إيجاد أساس للفهم في التّجربة الحيّة كما هي معاشة فعلا عند الفرد، إلاّ إذ أنّه لم يهتم بالبحث في الذّات المتعالية بل بحث في موضوع الإنسان ببيولوجيته و عقله و غرائزه، و بذلك كان اعتباره للوجود البشري وجودا متفرّدا و لا يمكن سبره بواسطة المعرفة [44].

و يعتبر فيلهم ديلتاي من خلال مقاله:" أصول الهرمينوطيقا "، الفهم هو جوهر التّأويل، بالإضافة إلى كتابه: " بناء العالم التّاريخي في علوم الرّوح "[45]. حيث يقول ديلتاي في كتابه (Gritique de la raison historique):« إنّ ألمانيا وحدها بإمكانها أن تنتج تجربة عملية، واقعية بإمكانها أن تأخذ مكان التّجريبيّة الدّوغمائية لجون ستيوارت ميل المليئة بالأحكام المسبقة، إنّ "ميل" الدّوغمائي تنقصه المعرفة التّاريخيّة »[46].

<u>نقـــد وجهة نظر ديلتـــــاي:</u>

يرى الباحث بول ب.أرمسترونغ (Paul .B. Armstrong) في كتابه: (القراءات المتصارعة) (Conflicting Readings)، أنّه يصعب الدّفاع عن موقف ديلتاي ذلك أنّ إجراءات التثبّت و التّأويل تكتنف مجالي الإنسانيّات و العلوم الطّبيعيّة معاً، و ربّما هذا ما يثير الشّكوك حول الحكمة الكلاسيكية الّتي تقرّ باستحالة الالتقاء بينهما، إنّ الفصل بين المجالين أمر موضعيّ و خاصّ لا عامّ و لا مطلق، إذ انّ الفهم في المجالين اختباري و ليس تجريبيًا أو تقمصيًا، حيث توضع في الحقلين افتراضات و تؤوّل، لكن عملية الفهم هي نفسها[47]. إذ أنّهم:« قد ينتمون إلى جماعات اعتقاد مختلفة، لكنّهم جميعا مواطنون في عالم تعدّدي تحكمه القوانين الهرمينيوطيقية نفسها »[48].

و رغم ما أقرّ به ديلتاي، إلاّ أنّه كان تحت وطأة تأثير جدّ عميق لنموذج العلوم الطّبيعيّة حتّى لمّا كان يعمل على إبراز استقلالية منهاج العلوم الإنسانيّة فرغم أنّ ديلتاي كان محكوما بفردية أصلية إلاّ أنّ مثل هذه الحساسية تحتاج إلى تثقيف روحي يوحي

ببقاء الإيمان الرّومانسي و الثّقافة الكلاسيكية قد بقيا بداخله حيّين، كما أنّ نموذج العلوم الطّبيعيّة يبقى دائما عاملا مرشدا لتصور ديلتاي كونها علوماً[49].

و قد عمل ديلتاي أيضا ضمن حلقة الباحثين في إشكالية المنهج الّتي تتخبّط فيها علوم الرّوح، إلاّ أنّه قد تأثّر أيضاً بالمناهج التّجريبيّة في العلوم الطّبيعيّة و منطق جون ستيوارت ميل، و رغم ذلك فقد بقي رهين النّزعة الرومانسيّة و المثاليّة الّتي انتشرت في ألمانيا إبَّان القرن التاسع عشر، الأمر الّذي جعله يتسامى عن التّجريبيّة الإنجليزية و ينشد المدرسة التّاريخية الألمانية الّتي تعتبر "الحدس" أساسا لفهم علوم الرّوح[50].

و لكن أهمّ ما اتّسم به بحث ديلتاي عن الحياة هو أنّه لم يتمكّن من تقديم نظريّة أو نسق لها و لا مذهبا تّاريخيا، و إنّما كلّ ما قام به إنّما هو تناول حقيقة الحياة تناولا مباشراً، ذلك أنّه حاول إقامة الفلسفة على التّجربة، حيث بيّن بأنّ الحياة تاريخيّة في حقيقتها و أنّ التّاريخ هو الحياة نفسها[51].

خـــاتمة:

و كما يرى ديلتاي، فإنّ« العلوم الإنسانيّة تخلق شعورا جديدا بالحريّة، فهي تحررّنا من المظاهر المقيّدة و المحدّدة للموقف العقيديّ المتعصّب »[52]. أي أنّ الإنسان- من وجهة نظره ايضا-:« هو في عملية صيرورته سيّداً »[53]. مما يوجب علينا ان نولي الدراسات الانسانية قدرا كبيرا من العناية و البحث.

و رغم كل هذا فان المفكر ديلتاي (Dilthey) لم يحظ بما يليق بمقامه من شهرة رغم ما قدّمه من فضل للعلوم الإنسانية، و قد استطاع من بعده (ماكس فيبر) ترجمة بعض أفكار ديلتاي إلى نتائج علمية خصبة[54].

و لهذا نجد جان غروندان يقول:« إنّ هيدغر و غادامير أخذا بشكل مباشر تراث فيلهم ديلتاي بدون إقصاء لدور كل من نيتشه، هوسرل و فرويد في عملهما الهرمينوطيقي »[55].

و رغم استماتة ديلتاي في الدّفاع عن الاستقلالية الإبستمولوجيّة للعلوم الإنسانيّة، إلاّ أنّ ما أطلق عليه اسم (منهج) في العلوم الحديثة بقي هو في كل المجالات، و اعتبر كنموذج خاصّ في العلوم الطّبيعيّة حتّى في العلوم الإنسانيّة، و لكن هنا قد يتساءل أي واحد منّا عن قيمة المنهج في هذه الحالة! ألا يمكن القول بأنّ علمية العلوم الإنسانيّة تكتسي قيمتها من حيث طبيعة مواضيعها بدلا من منهجيتها؟[56].

الهوامش:

(1). د.محمود سيد أحمد: ديلتاي و فلسفة الحياة، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط2، 2005م، ص8.

(2). د.محمود سيد أحمد: ديلتاي و فلسفة الحياة، ، ص7.

(*) فيلهم ديلتاي [W .Dilthey]: (1833-1911): من أهم الفلاسفة الألمان الهيرومنطقيين سعى إلى إدخال البعد الهيرمينوطيقي في العلوم الإنسانية، و عمل على تحقيق التقاء التأويل الفيلولوجي بالفهم القابل للتّفسير المطبّق في العلوم الطّبيعيّة، يرى ضرورة فهم الإنسان بوصفه وجودا تاريخيا في جوهره من آثاره: عالم الرّوح (le monde de l'esprit).[أنظر: جان مارك فيري: فلسفة التواصل، ترجمة و تقديم: د.عمر مهيبل، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، (1427ه)،(2006م)، ص24].

(3).د.محمود سيد أحمد: ديلتاي و فلسفة الحياة، ص14.

(4).د.صلاح قنصوه: الموضوعية في العلوم الإنسانية،(عرض نقدي لمناهج البحث)، دار التنوير، بدون رقم الطّبعة، 2007م، ص181.

(5).د.صلاح قنصوه: نفس المرجع، ص 181.

(6).غنار سكيربك، نلزغيلجي : تاريخ الفكر الغربي: (من اليونان القديمة إلى القرن العشرين)، ترجمة: د.حيدر حاج إسماعيل، مراجعة: نجوى نصر، المنظّمة العربية للتّرجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2012م، ص630.

(7).نابي بوعلي: فلسفة التّأويل من شلايرماخر إلى ديلتاي (من كتاب جماعي)، التّرجمة و التّاويل: (مقاربات لآليّات الفهم و التّفسير)، إشراف: إبراهيم أحمد، تقديم: أ.د.الزّاوي الحسين، الدّار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 1430ه، 2009م، ص187.

(8). غنار سكيربك، نلزغيلجي : تاريخ الفكر الغربيّ، ص634.

(9). نابي بوعلي: فلسفة التأويل من شلايرماخر إلى ديلتاي (من كتاب جماعي)،التأويل والترجمة، ص ص(191،193).

(10). نابي بوعلي: فلسفة التأويل من شلاير ماخر إلى ديلتاي، من كتاب جماعي: التأويل و التّرجمة (مقاربات لآليات الفهم و التّفسير)، إشراف إبراهيم أحمد، ص186.

(11). بول ب.أرمسترونغ: القراءات المتصارعة(التنوع و المصداقية في التاويل)، ترجمة و تقديم: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2009 م، ص76.

(12). بول ب.أرمسترونغ: القراءات المتصارعة، ص76.

(13). بول ب.أرمسترونغ: القراءات المتصارعة، ص ص (76،77).

(14). د.محمود سيد أحمد: ديلتاي و فلسفة الحياة، ص15.

(15). د. مليكة دحامنية: هرمنيوطيقا النّص الأدبي في الفكر الغربي المعاصر، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2008 م، ص28.

(16). د. مليكة دحامنية: نفس المرجع ، ص ص (28،29).

(17). د. مليكة دحامنية: نفس المرجع ،ص ص (29،30).

(18). د. مليكة دحامنية: نفس المرجع ،ص ص (30،31).

(19). غنار سكيربك، نلزغيلجي : تاريخ الفكر الغربي، ص632.

(20). غنار سكيربك، نلزغيلجي : نفس المرجع ، ص ص (632،633).

(21). غنار سكيربك، نلزغيلجي : نفس المرجع ، ص633.

(22). د.صلاح قنصوه: الموضوعية في العلوم الإنسانية، ص177.

(23). د. مليكة دحامنية: هرمنيوطيقا النّص الأدبي في الفكر الغربي المعاصر، ص26.

(24). د.صلاح قنصوه: الموضوعية في العلوم الإنسانية، ص163.

(25). غنار سكيربك، نلزغيلجي : تاريخ الفكر الغربي، ص629.

(26). غنار سكيربك، نلزغيلجي : مرجع سابق، ص629.

(27). غنار سكيربك، نلزغيلجي : مرجع سابق ، ص629.

(28). هانز جورج غادامير: الحقيقة و المنهج، الخطوط الأساسيّة لتأويليّة فلسفية، ترجمة: د. حسن ناظم و علي حاكم صالح، راجعه عن الالمانية: د. جورج كتورة، طرابلس، ليبيا، ط1 ، 2007، ص127.

(29). غنار سكيربك، نلزغيلجي : تاريخ الفكر الغربي، ص628.

(30). بول ب.أرمسترونغ: القراءات المتصارعة، ص78.

(31). بول ب.أرمسترونغ: نفس المرجع، ص78.

(32). بول ب.أرمسترونغ: نفس المرجع، ص78.

(33). بول ب.أرمسترونغ: نفس المرجع، ص78.

(34). نقلا عن: غنار سكيربك، نلزغيلجي : تاريخ الفكر الغربي، ص ص (630،631).

(35). غنار سكيربك، نلزغيلجي : نفس المرجع، ص631.

(36). غنار سكيربك، نلزغيلجي : نفس المرجع، ص630.

(37). غنار سكيربك، نلزغيلجي : نفس المرجع، ص630.

(38). د.صلاح قنصوه: الموضوعية في العلوم الإنسانية، ص172.

(39). د. مليكة دحامنية: هرمنيوطيقا النّص الأدبي في الفكر الغربي المعاصر، ص ص(26،27).

(40). د.محمود سيد أحمد: ديلتاي: و فلسفة الحياة، ص11.

(41). بول ب.أرمسترونغ: القراءات المتصارعة، ص75.

(42). د.صلاح قنصوه: الموضوعية في العلوم الإنسانية، ص173.

(43). نابي بوعلي: فلسفة التأويل من شلاير ماخر إلى ديلتاي (من كتاب جماعي)، ص198.
(44). د.محمود سيد أحمد: ديلتاي: و فلسفة الحياة، ص27.
(45). تروين مصطفى: التأويل و العلوم الإنسانية عند جورج هانس غادامير، من كتاب جماعي: التأويل و التّرجمة (مقاربات لآليات الفهم و التفسير)، إشراف: إبراهيم أحمد، تقديم: أ.د.الزاوي الحسين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 1430هـ، 2009م، ص99.
(46). نقلا عن: تروين مصطفى: التأويل و العلوم الإنسانية عند جورج هانس غادامير (كتاب جماعي)، ص128.
(47). بول ب.أرمسترونغ: القراءات المتصارعة، ص77.
(48). بول ب.أرمسترونغ: نفس المرجع، ص77.
(49). هانز جورج غادامير: الحقيقة و المنهج، ص54.
(50). تروين مصطفى: التأويل و العلوم الإنسانية عند جورج هانس غادامير (كتاب جماعي)، التّاويل و التّرجمة، ص128.
(51). د.محمود سيد أحمد: ديلتاي و فلسفة الحياة، ص13.
(52). غنار سكيربك، نلزغيلجي : تاريخ الفكر الغربي، ص634.
(53). غنار سكيربك، نلزغيلجي : نفس المرجع ، ص634.
(54). د.صلاح قنصوه: الموضوعية في العلوم الإنسانية (عرض نقدي لمناهج البحث)، دار التنوير، بدون رقم الطّبعة، 2007م، ص166.
(55). تروين مصطفى: التّأويل و العلوم الإنسانيّة عند جورج هانس غادامير، من كتاب جماعي: التّأويل و التّرجمة (مقاربات لآليات الفهم و التّفسير)، إشراف: إبراهيم أحمد، ص99.
و الّذي أخذ عن: Greisch-Jean : L'âge herméneutique de la raison, paris, ed, le çerf,1985,p403.
(56). هانز جورج غادامير: الحقيقة و المنهج، ص55.